الفصل التاسع

مشروع إنشاء دولة لليهود في فلسطين
فكرة أوربية قبل أن تكون صهيونية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل التاسع

مشروع إنشاء دولة لليهود في فلسطين
فكرة أوروبية قبل أن تكون يهودية

فى القرن الحادى عشر الميلادى، تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبى من هزيمة ملك الإنجليز الصليبى الشهير رتشارد قلب الأسد فى فلسطين واسترداد بيت المقدس بعد أن إحتلتها جيوش الفرنجة لنحو قرنين من الزمان، وهذا النصر كان إيذانا بانحسار خظر الصليبيين وجلائهم عن الديار المقدسة، الذى تم بالكامل فى عهد المماليك، وطبعا أثرت هذ الهزيمة المرة التى ألحقها صلاح الدين بملك الإنجليز وقائد الطوائف الصليبية فى فلسطين تأثيرا مرا فى نفوس الإنجليز والأوروبيين جميعا إستمر لعدة قرون.

ثم جاءت حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر ليحقق أحلام الصليبيين ويسترد القدس من المماليك، وكان هذا الملك من أقوى ملوك أوروبا كما كان مؤيدا من الفاتيكان ومتمتعا برضاء الكنيسة الكاثوليكية التى نصبته قديسا فيما بعد، ولكن حملة لويس الصليبية على مصر باءت هى الأخرى بالفشل وتبدد جيشه وسقط هو وكبار قواده أسرى فى أيدى المصريين، وسجنه المماليك فى المنصورة فى دار ابن لقمان ولم يفرجوا عنه إلا بعد أن دفع الفرنسيين لهم فدية كبيرة، وظل الفرنسيون يشعرون أيضا بالمرارة من نتيجة هذه الحملة الفاشلة على مدى قرون ويتربصون للإنتقام حينما تحين الفرصة، ومما زاد الطين بلة، إقدام لويس التاسع بعد ذلك على غزو تونس فى حملة صليبية أخرى، ولكنها فشلت أيضا ومات هو أثناء هذه المحاولة بعد أن أصيب بالطاعون.

وفى سنة ١٧٩٨ قام نابليون بونابرت على رأس جيش فرنسى حديث مجهز بغزو مصر وإلحاق الهزيمة بحكامها من الأتراك والمماليك، وبعد مدة وجيزة من إحتلال نابليون لمصر فكر من إحتلال فلسطين وجرد حملة لغزوها ووصلت جيوشه حتى أسوار مدينة عكا، وظل يحاصرها المدينة ثلاثة شهور دون أن تستسلم، ثم إنتشر وباء الطاعون بين جنوده، فقرر الرجوع إلى مصر وكان هذا هو أول فشل لحملته وأول هزيمة يذوقها منذ أن غادر بجيشه

فرنسا إلى مصر، فأصيب بخيبة أمل شديدة، وفى أثناء وجود نابليون فى فلسطين وهو يعانى المرارة من جراء إستعصاء مدينة عكا على جيشه القوى واستبسال أهلها وحاكمها فى الدفاع عنها، تذكر نابليون هزيمة الفرنجة وخروجهم من هذه البلاد قبل قرون، وتاقت نفسه للأخذ بالثأر والإنتقام، فأصدر نداءه الشهير إلى يهود العالم يحثهم فيه على التجمع والحضور إلى فلسطين لإقامة دولتهم اليهودية على ترابها كما وعدهم الرب بذلك، وقد صدر منه هذا النداء قبل أن يولد هرتزل مؤسس الصهيونية بنحو قرن من الزمان.

وبعد عودة نابليون بجيشه إلى مصر، ما لبث أن واجه مقاومة عنيفة من الشعب المصرى الذى ثار على الفرنسيين فى كل مكان، وكانت ثورة القاهرة الأولى المشهورة وضرب نابليون للمدينة الثائرة بالمدافع من فوق القلعة، ثم دخول فرسانه إلى المسجد الأزهر وتدنيسه إذلالا للمصريين، ولما توالت ثورات المصريين عليه أصيب بالقنوط، ثم أصيب بنكسة أخرى عندما حطم نلسون قائد الأسطول الانجليزى أسطول نابليون فى أبى قير، فأيقن نابليون بالفشل وخرج من مصر متخفيا وترك جيشه فيها تحت قيادة الجنرال كليبر الذى أغتيل فيما بعد من قبل طالب ازهرى سورى، وتولى القيادة بعده الجنرال مينو، وما لبثت الهزيمة أن لحقت بالجيش الفرنسى فى مصر فخرج منها غير مأسوف عليه.

ولم يكن الفرنسيون ولا نابليون هم وحدهم الذين يريدون الإنتقام من العرب والمسلمين، بل راجت فى بريطانيا دعوة مماثلة بين كبار القادة الإنجليز الإستعماريين، الذين طالبوا بإنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين، تفصل العالم العربى فى آسيا عن شقه الموجود فى أفريقية، وكانوا مدفوعين إلى ذلك بتراث الحقد وحب الإنتقام من العرب والمسلمين، وقد صدرت هذه الدعاوى بإنشاء وطن يهودى فى فلسطين قبل ظهور دعوة هرتزل الصهيونية بنحو نصف قرن من الزمان.

ومن ذلك يتبين أن أول من فكر فى إنشاء دولة يهودية فى قلب العالم العربى فى فلسطين هو نابليون وتلاه الإنجليز وليس اليهود، هذا ولو أن هناك شاعر إنجليزى ظهر فى القرن السابع عشر كان يدعو فى شعره إلى قيام إسرائيل فى فلسطين وهزيمة العرب والمسلمين.

وفى بحث ممتع للدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق تناول فيه الدعوات التى صدرت فى الغرب لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وقد فند فى بحثه هذا الآراء التى تدعى بأن الدعوة إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين كان بسبب إضطهادهم فى أوروبا، ويقول الدكتور الزيات فى ذلك «إجتمع المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل السويسرية فى صيف ١٨٩٧، وكان ذلك ثمرة جهاد قام به وثابر عليه الصحفى النمسوى الشاب «تيودور هرتزل» الذى قام بتنظيم المؤتمر وتوجيه أعماله، وإستصدر بعد ثلاثة أيام من إنعقاده أول قراراته وأهمها وهو تحديد هدف الحركة الصهيونية بأنه (إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يحميه القانون العام)، وقد إختار المؤتمر إصطلاح (وطن قومى) بدلا من دولة تحاشيا لإثارة شكوك السلطان العثمانى، وكانوا يحرصون على عدم إغضابه، لذلك كان القرار الثانى للمؤتمر إرسال برقية شكر له، على أن هرتزل نفسه كان يعرف ما يريد، وقد سجل فى مذكراته بعد إنفضاض المؤتمر مباشرة قوله (لو أننى أردت أن ألخص وقائع المؤتمر فى عبارة واحدة لقلت:- (إننى فى بازل وضعت أساس دولة لليهود). وكان هرتزل قد لقى من المصاعب والمتابع بسبب ديانته لليهودية فى بلاده النمسا ما لقى، وشهد فى باريس بصفته الصحفية أشهر محاكمات القرن التاسع عشر وهى محاكمة اليهودى ألفريد دريفوس الذى إتهم وحوكم بتهمة الخيانة العظمى، حينما إشتبهت الحكومة الفرنسية فيه وحاكمته، كذلك إستقر فى يقين هرتزل أنه بنى ديانته لن يجدوا العدل والأمان فى أوروبا المسيحية، وأنهم لابد أن يتركوها إلى بلاد يكونون فيها هم السكان والحكام، فتصبح ملاذا لهم ودولة، وزاد من يقينه هذا بعد مقابلته لبابا الفاتيكان لإقناعه بفكرته ورفض هرتزل فى أثناء هذا اللقاء أن ينحنى أمام البابا، وعندما قدم له البابا يده ليقبلها لم يفعل، فقابله البابا ببرود شديد ووبخه ولم يستجب لدعوته.

ولم يكن هرتزل مهتما بأن تقوم هذه الدولة أبدا فى فلسطين، فقد فكر فى أوغندة وفكر فى الأرجنتين، بل إن واحدا من أصدقائه اليهود نصحه بألا يدعو إلى قيام هذه الدولة فى فلسطين أبدا، فإن فلسطين فى رأيه تقوم على ملتقى قارات ثلاث، وهذا المركز الإستراتيجى جدير بأن يجرها إلى صراع دولى هى فى غنى عنه. بهذا السرد السريع يبدو أن إضطهاد الكثرة المسيحية فى أوروبا لمن كان يعايشها من اليهود كما لو كان هو الدافع الأول للحركة

التى بدأت بمؤتمر بازل سنة ١٨٩٧م، واستمرت خمسين عاما كاملة حتى تم فى سنة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين بقرار من هيئة الأمم المتحدة الناشئة عندما قامت فى فلسطين فعلا دولة لليهود.

وهكذا جرت العادة أن يؤرخ للحركة الصهيونية ابتداءً من مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، مع ذكر إسم هرتزل على أنه نبى هذه الدولة اليهودية وصاحب فكرة إنشائها.

مصالح الإمبراطورية أولا:

والذى نريد أن نبينه من كلامنا هذا هو:

أولا:- أن فكرة الدولة اليهودية قد وجدت وعرضت قبل إنعقاد مؤتمر بازل بأكثر من خمسين سنة.

ثانيا: أن أصحاب هذه الفكرة لم يكونوا من اليهود المضطهدين أو غير المضطهدين ولم يكن هدفها إيجاد حل لمشاكل اليهود فى أوروبا ولا الحرص على توفير الأمن والاستقرار لهم، بل أن الدعوة إليها صدرت آنذاك من أحد عمال الإمبراطورية البريطانية من المسيحيين، وكان يقصد من دعوته الحرص على تحقيق المصالح السياسية والإقتصادية والإستراتيجية للإمبراطورية البريطانية، لذلك رأى إقامة دولة يهودية فى فلسطين دون سواها، لأن المطلوب من قيامها على طريق الهند لم يكن إلا لضمان إستقرار وإستمرار نفوذ الإمبراطورية البريطانية فى منطقة يزداد الإهتمام بها، كذلك يزداد إهتمام الدول الأوروبية الكبرى الأخرى بها، ألا وهى منطقة المشرق العربى.

وكان محمد على باشا قد عرف مصر ودرس بعض أمورها من قبل أن يعين واليا عليها فى سنة ١٨٠٥، واستمر محمد على بعد ولايته فى البحث عن أحوال مصر وتاريخها وفى حاضرها وكذلك فى إمكانياتها، وكان محمد على رجلا ذكيا ثاقب النظر بعيد الأفق فى نظرته للأمور، وفى أثناء قيامه بإفتتاح مشروع القناطر الخيرية ذو الأهمية الكبيرة فى تنظيم الرى والزراعة فى دلتا النيل قال «إنه لاشك فى أن مصر كانت فى قديم الزمان سيدة ممالك العالم وعلمها الذى تهتدى به، أما الآن فقد أخذت أوروبا هذه المكانة» ثم أضاف فى جسارة رجل شرقى خلا من عقد النقص التى فرضها التفوق الحضارى الاوروبى ومازال يفرضها

حتى الآن على الكثيرين من زعماء الشرق، قال «إنى لآمل أن يأتى يوم تنهض فيه إلى مكانتها الأولى فى التمدين والعمران، وما هذه الدنيا إلا صعودا وانخفاض».

كان والى مصر يرى بوضوح أهمية مصر فى المنطقة كما كان يرى بنفس الوضوح أهمية منطقة المشرق العربى للعالم، لذلك قام بمد سلطانه على الحجاز فى سنة ١٨١٨م. وعلى السودان فى عام ١٨٢٣م ثم على الشام فى عام ١٨٣٣م، وبهذا جمع المشرق العربى كله تحت لوائه.

وهدد هذا الكيان العربى الجديد توازن الدول العظمى وعرفوا أن هناك دولة عربية عظمى توشك أن تولد فى المنطقة، فقامت الدول الأوروبية بعقد الاجتماعات فيما بينها، وإنتهت فى مؤتمر لندن سنة ١٨٥٠، إلى التعهد لسلطان تركيا بالتصدى لمحمد على، وتجمعت الدول الأوروبية الكبرى فعلا عليه، وتصدت له ولجيوشه فى اليونان والشام، وحطمت الأسطول المصرى فى معركة نوارين وكان هذا الأسطول ثانى أكبر الأساطيل فى العالم بعد الأسطول الإنجليزى، وطالبت بريطانيا بأن تكون شبه الجزيرة العربية هى الحد الأقصى لسلطان محمد على.

ثم تلا ذلك ضرب الأسطولين الإنجليزى والنمساوى لبيروت، وأشعل عملاء الانجليز نار الثورة ضد المصريين فى سوريا، ووصل جزء من الأسطول البريطانى إلى الاسكندرية، وأجبر محمد على على سحب جيوشه من كافة البلاد العربية وارتداد الجيش المصرى الى سيناء، وفى سنة ١٨٤١ صدرت الأوامر الشاهانية التى نزعت أقاليم المشرق العربى من حكم محمد على وألزمته حدود وادى النيل، وسرحت جزءا كبيرا من قواته العسكرية البرية والبحرية حتى تضمن السيطرة على قدرته على المغامرة وإحتلال البلاد العربية مرة أخرى.

بداية المؤامرة

وقبل أن يتم للدول الأوروبية الكبرى تنفيذ هذه الخطة، كانت تفكر متفرقة ومجتمعة فى مستقبل المشرق العربى بعد أن يخليه محمد على، ومذكرات هذه الدول ودراساتها محفوظة، وليس المجال هنا صالحا لعرض هذه الدراسات أو مناقشتها، ولكن ينبغى مع ذلك الإشارة الى

مذكرة منها، وهى المذكرة التى وجهتها الحكومة الروسية فى أكتوبر عام ١٨٤٠ الى حكومة بروسيا وننشر هنا ملخصها:- «تتردد كثيرا فى أوروبا وخاصة فى فرنسا آراء مختلفة وغالبا متضاربة حول الإجراءات التى يجب على الدول العظمى المتدخلة فى أمور المشرق أن تتبعها فى الوقت الحاضر **لكى تحقق الذى حاول الصليبيون فى حروبهم الطويلة والدامية تحقيقه فلم يفلحوا**، وقد عرض مشروع إقامة دولة مسيحية فى فلسطين، وإن كان هذا المشروع لم يناقش مناقشة جدية، وعرضت فكرة إحياء منظمة فرسان القبر المقدس ليعهد إليها بحماية المقدسات، بل إن أفرادا فكروا فى أن يدعو اليهود المتفرقين فى جميع بلاد العالم للعودة إلى مدينة سليمان».

ونحن نشير إلى هذا الجزء من المذكرة لأسباب أهمها أن الخطط العديدة المتضاربة التى أرادت الدول العظمى أن تمنع بها عودة الترابط بين بلاد المشرق العربى تحت أى ظروف جديدة هو أن تمكنت من تحطيم الكيان العربى الوليد الذى أنشأه محمد على، وتعرض الدول العظمى من بين ما تعرض من وسائل تحقيق ذلك أن تحتل الدول الأوروبية سوريا إحتلالا مباشرا مستمرا، كما تعرض من ضمن الحلول البديلة دعوة اليهود للعودة إلى فلسطين، غير أن الدول لم تتمكن من الإتفاق على أى حل من هذه الحلول، فاتفقت على إعادة سوريا إلى الباب العالى.

وقد تأمل أحد الموظفين البريطانيين المقيمين فى المنطقة ما حدث، وهوالضابط البريطانى المقيم فى دمشق ولخص تأملاته فيما يلى:-

كان من دواعى سروره وإغتباطه أن يبحث موضوع الفصل بين سوريا وفيها فلسطين وبين مصر، ولكن كان من دواعى أسفه وأساه أن أوروبا عجزت عن فرض سلطانها المباشر أو غير المباشر على البلاد، وأنها أعادتها إلى حكم السلطان، وقد عبر هذا الضابط عن شعوره وعن إقتراحاته فى رسائل كتبها فى دمشق وبيروت بين عامى ١٨٤١، ١٨٤٣، وليس من المعروف لنا حتى الآن إن كان هذا الضابط المقيم قد عرض أفكاره التى وردت فى هذه الرسائل على حكومته أو على أى جهاز من أجهزتها، وتلقى توجيهات بشأنها أم لا، وإن كنا نميل إلى الإعتقاد بأنه لم يعمل إلا بتوجيهات من حكومته، وقد حفظت رسائل هذا الضابط

فى سجلات مجلس إدارة نواب اليهود البريطانيين. ورسائل هذا الضابط لم يسبق نشرها فى العالم العربى ولم تلق حقها من الدراسة والتفكير الآن.

وكان اسم هذا الضابط الكولونيل تشارلس هـ. تشرشل وقد وجه رسائله إلى رئيس مجلس إدارة مجلس النواب البريطانيين فى هذا الوقت وهو السير موسى مونتفيورى من مكتبه فى دمشق بصفته ضابط مقيم .Resident Officer.

وقد عبر تشرشل فى رسائله عن قلقه لأن تزايد ضعف السلطنة العثمانية قد يؤدى فى المستقبل إلى إنتفاضة شعوب المنطقة وإتحادها، ولاشك أنه كان على يقين من أن المنطقة لو تمكنت من هذه النهضة واتحدث لأصبحت قوة لابد أن يحسب حسابها، وكان الكولونيل تشرشل يرى أن أوروبا قد حققت هدفا سلبيا بإخراج مصر من الشام، ولكنها عجزت عن تحقيق الهدف الإيجابى وهو إقامة كيان فيها لا يتصور أن يعود للإتحاد مع مصر أو مع غيرها من الأقاليم، وقد عادت سوريا إلى حكم العثمانيين، والكولونيل تشرشل يوقن بأن هذه البلاد يجب أن تستنقذ من قبضة حكامها الجهلة والمتعصبين، إن موكب الحضارة يجب أن يتقدم وعناصر رخائها التجارية المختلفة يجب أن تنمى، ولن يحدث هذا تحت الحكم البالى المتعسف، حكم الأتراك أو المصريين، وفى كلمة واحدة أن سوريا وفلسطين لابد أن توضع تحت الحماية الأوروبية وأن تحكم بروح وأسلوب الإدارة الأوروبية وسيتم ذلك حتما فى آخر الأمر.

تحريك يهود بريطانيا:-

ولكى يتم ذلك، إتجه الكولونيل تشرشل إلى يهود بريطانيا، ففى الخطاب الذى وجهه الى سير موسى مونتوفيورى رئيس مجلس نواب اليهود البريطانيين، وبعد صدور الأوامر الشاهانية التى حكمت بإخراج مصر من الشام بشهرين فقط، أى فى يونية سنة ١٨٤١، يرجو تشرشل أن تكون رسائله السابقة قد وصلت سالمة، ثم يقول «لست أخفى عليك رغبتى الشديدة فى أن أرى مواطنيك يتحركون لإعادة وجودهم باعتبارهم شعبا مستقلا، وأنا أعتقد أن ذلك أمر يمكن تحقيقه تماما بشرطين:- الأول أن يبدأ اليهود أنفسهم بتبنى هذه الحركة بالإجماع،

والثانى أن تساعدهم الدول الأوروبية، إن على اليهود أن يبدأو، على زعمائهم أن يتصدروا هذه الحركة، عليهم أن يجتمعوا وأن ينسقوا فيما بينهم، وأن يتقدموا بالشكاوى يجب أن يحدث ذلك فى بلاد أوروبا كلها فى وقت واحد، ليست هناك حكومة أوروبية واحدة يمكن أن تغضبها هذه التظاهرات والاجتماعات العامة، وستكون النتيجة أن يبرز عنصر جديد بروز السحر من بين عناصر دبلوماسية المشرق، ولن تستطيع دول أوروبا كلها أن تتجاهل هذا العنصر اذا تبناه مواطنوك.. أغنياء اليهود ذوى النفوذ، ان ذلك لن يثير الإهتمام فقط بل سوف يحقق النتائج، إنكم لو وجهتكم مواردكم لإحياء سوريا وفلسطين فلن يكون هناك شك فى أن هاتين البلدين ستعيدان إليكم إستثماراتكم بربح وفير، ولن يكون هناك شك فى إنكم ستنتهون بالسيادة على فلسطين على الأقل.

وفى نفس هذا الخطاب الذى يدعو فيها الضابط البريطانى بإلحاح إلى أن يقوم اليهود بحركات وإستثمارات فى كل مكان، يتعهد هو نفسه أن يبدأ هو حركة فى منطقة عمله، فسوف يقوم بنفسه بإعداد بعض العرائض وتوزيعها وتوقيعها من اليهود المقيمين فى سوريا باعتبار ذلك من حملة الإثارة التى يدعو إليها.

وقد مضت شهور طويلة بعد هذه الرسالة واليهود البريطانيون والأوروبيون لا يتحركون، فكتب الكولونيل رسالة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٨٤٢ يلح فى دعوته نفسها ويعززها هذه المرة باقتراح محدد هو أن يتصل المجلس اليهودى فى بريطانيا بيهود أوروبا ليقدم باسمهم عريضة الى الحكومة البريطانية تطالب بإرسال مندوب خاص إلى سوريا تكون مهمته الوحيدة توفير الرعاية والحماية لليهود المقيمين فيها، على أن تمدد مهمات وسلطات هذا المندوب بالإتفاق بين وزارة الخارجية البريطانية واللجنة اليهودية التى تقدم الإقتراح، ويوضح تشرشل صراحة بأن هذا التعيين سوف يكون إعترافا بأن اليهود الإنجليز والأوربيون يمثلون يهود سوريا الذين سيوضعون بهذا الشكل تحت حماية بريطانيا، وبالتالى فلابد أن يكون لليهود الإنجليز وغيرهم وتكون لبريطانيا كلمة فيما يجرى فى سوريا لأنه لابد أن يمس اليهود من سكانها.

ويلاحظ أن الكولونيل تشرشل يؤكد للسير موسى أن اليهود لو تقدموا بهذا الطلب فإن نتائج هذا التقديم ستسرهم حتما، كما يوضح له أن الطلب يجب أن يقدم عن طريق شخص يحدده هو شخصيا، وهو الإيرل أف أبردين. وفى وقت معاصر لإرسال هذه الرسائل وبالتحديد فى شهر يوليه عام ١٨٤١ وصل الى لندن مبعوث للحكومة الألمانية هو البارون يونسون فى مهمة خاصة ذكر أنها تتعلق بالإتفاق على تسهيلات لشراء الأراضى فى فلسطين لعدد من المسيحيين واليهود الألمان الذين يريدون الإقامة فيها، وقد قابل هذا البارون اللورد بالمرستون يوم ١٩ يولية سنة ١٨٤١ وخرج من المقابلة ليكتب إلى زوجته قائلا «هذا يوم عظيم، لقد نجحت فى إقناع لورد بالمرستون بالمبدأ، ولقد أرسل فعلا توجيهاته إلى السفير البريطانى فى تركيا ليسعى لدى السلطان، وفى أكتوبر القادم سيعين سفير بريطانى جديد فى تركيا وهو البيشوب ألكسندر المولود فى أوسلو فى روسيا والمسيحى حاليا على مذهب الكنيسة البريطانية ولكنه يهودى الجنسية، وكان أستاذ اللغة العبرية واللغة العربية فى إنجلترا لمدة عشرين عاما فيما يسمى الان بكلية الملك King's College، وهكذا يبدأ الان بإذن الله إعادة إنشاء إسرائيل».

مشكلات التنفيذ:-

إن المشروع الذى فصله الكولونيل توماس تشرشل البريطانى فى دمشق عام ١٨٤١-١٨٤٢ والذى كان موضع مباحثات سرية بين المبعوث الألمانى وبين الوزير البريطانى فى عام ١٨٤١، يوضح الخطوات التى كان مطلوبا أن تكرس لفصل سوريا وفلسطين خاصة عن المشرق العربى وقيام الدولة اليهودية فى فلسطين على الأقل لقد إقترح تشرشل على اليهود أن يثيروا من المظاهرات ما يبين للعالم أن هناك مشكلة يهودية تتطلب الحل، وعندئذ سيكون الحل جاهزا وهو إستعمار اليهود لفلسطين، ولما كانت فلسطين جزءا من الأراضى العثمانية، فلابد من أن يتم لجوء اليهود إلى أراض عثمانية ليعيشوا فيها رعايا للسلطان بضمانات من إنجلترا وغيرها من الدول، ولابد لذلك من الحصول فى أول الأمر على رضا السلطان، على أن الخطوة التالية ستكون أن تعين إنجلترا هؤلاء اليهود على إستقلالهم بدولتهم كما يقول ويؤكده لهم الكولونيل تشرشل.

إن التأييد الأوروبى لأولئك المستعمرين اليهود ثم لدولتهم مضمون لأن قيام هذه الدولة وبقاءها قوية سيظل ضروريا للحيلولة دون قيام تجمع جديد فى المنطقة يهدد موازين القوى الدولية من جديد كما هددها محمد على، كما أن فى وسع بريطانيا والدول الأوروبية أن تطمئن إلى إخلاص الدولة اليهودية لأنها ستكون فى حاجة دائمة إلى تأييدها لتعيش منيعة فى الوسط الذى سوف تعيش فيه.

وهذا الإستعمار سيحتاج إلى تمويل، ولكن هذا التمويل أمر يسير على يهود العالم، وهم لن يقدموه تبرعا بل إستثمارا وفى المنطقة من الثروات والإمكانيات ما هو جدير بأن يضاعف هذه الإستثمارات مع مرور الزمن.

وبتاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٨٤٢ أبلغ سير موسى مونتوفيورى قرار المجلس اليهودى للكولونيل تشرشل، فقال ان المجلس واثق من أن تحقيق نوايا تشرشل الطيبة ستكون له فوائد جمة، ولكنه يعتقد أن مثل هذه المبادرة تتجاور صلاحياته، والمجلس على أى حال مستعد للنظر والإشتراك إذا إهتم يهود الدول الأخرى جميعا.

جاء الرد قصيرا وفاترا وكان رد تشرشل عليه هو الشكر وأنه سيظل على كل حال تحت الأمر.

إنتهت هذه المعركة وكان تطور الأمور فى العالم العربى داعيا إلى إنتهائها فى أغلب الأمر، فإن نهضة محمد على أحبطت والكيان العربى تمزق، وكان الناظر السياسى يستبعد أن تقوم لمصر أو العالم العربى قائمة خطيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، لذلك لم تتحرك الصهيونية ولا الدعوة إلى إنشاء الدولة اليهودية حتى جاء هرتزل فى آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

المهم فى هذا الموضوع أن نتبين أن التفكير والتدبير لإقامة دولة يهودية فى فلسطين لم يصدر فى أول الأمر عن اليهود، ولم تكن هناك مناسبة للبحث لهم عن ملجأ من الإضطهاد، ولكن صدر من غلاة البريطانيين الإستعماريين وكانت مناسبة لضرورة فصل سوريا وفلسطين عن مصر والحيلولة دون إنضمامهما تحت حكم واحد يضم دول العرب جميعا.

والآن قامت دولة إسرائيل، ثم زادوا ووسعوا رقعتها وإستغلوا موقعها وزادوا فى تسليحها ومنعها، هذا كله واضح، ولكن من المفيد أيضا أن ندرك أن الدول العظمى فى أوروبا وأمريكا كانت لها مصالح توافقت وتتوافق مع مصالح إسرائيل، وهذه المصالح ستبقى الجزء الأكبر والهام مما نسميه الان أزمة الشرق الأوسط.

obeikandl.com